حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٧ ( عدد إبريل – يونيه ٢٠١٩)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

# تأطير مفهوم المثقف

**فوزي عمر سالم الحداد** (*)

قسم اللغة العربية بكلية التربية / جامعة عمر المختار ليبيا

## المستخلص

يتناول هذا البحث مفهوم المثقف في محاولة للاقتراب من فهم ما يحيط به من إشكالات منهجية ودلالية، من خلال أربعة عناوين تبدأ بسؤال من هو المثقف؟ فطرح مثل هذا السؤال كفيل بإثارة نقاش طويل قد لا ينتهي بسهولة، ذلك بسبب عدد من الاختلافات المعرفية والأيديولوجية. ومروراً بتتبع السياق التاريخي للمصطلح، وصولاً لتعريف يتفق عليه أغلب من تناولوا مفهوم المثقف. أما ثاني العناوين فيتعلق بنماذج المثقف بدءاً من تفصيلات غرامشي وتحديده الثنائي الشهير، مروراً بمحاولة التوفيق بين ما عرضه غرامشي وإضافات النقاد المعاصرون خصوصاً من خلال الرواية العربية المعاصرة ، إذ تأخذ تصنيفات المثقف بعداً أعمق حين يتم التركيز على فاعليته كمنتج للمعرفة ومتبن لموقف وبان لرؤيا، ومن هنا ظهرت تقسيمات بناء على العلاقة بالسلطة، فهناك مثقف تابع للسلطة وآخر ضد السلطة، أو يمكن التصنيف على أساس مثقف داخل السلطة وآخر خارج هذه السلطة. وثالث عناوين هذا البحث يعرض لقضية تنامت ضمن اتجاه ما بعد الحداثة تطالب بإعادة النظر في دور المثقف، خطابه وفاعليته ، أفكاره ومشاريعه، وانقسمت الآراء بين من يدعو لجعل دوره معرفياً، بديلاً لدور الناقد الاجتماعي صاحب رؤى التغيير، وآخر يصدح بدعوات تمس وجود المثقف ذاته، لتقول بنهاية المثقف أو موته، وهذه القضية ( موت المثقف) هي التي شغلت العنوان الرابع من هذه الدراسة.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

**١. مفهوم المثقف:**

من هو المثقف؟ عند محاولة الإجابة عن هذا السؤال تتشعب الاتجاهات وتكثر الإشكاليات وتتعدد التعريفات والمفاهيم ، فطرح مثل هذا السؤال كفيل بإثارة نقاش طويل قد لا ينتهي بسهولة، ذلك بسبب عدد من الاختلافات المعرفية والأيديولوجية، والمتتبع يجد " مكتبة كاملة من الدراسات عن المثقفين مروعة جداً في مداها، متناهية التركيز في تفاصيلها"[١].

فقد غدا المثقف الآن مدار الكلام ومحور الاهتمام، يقول علي حرب": قلما تفتح صفحة الثقافة في جريدة، أو تتصفح عناوين مجلة ثقافية، لا تتناول قضية المثقف، أو إشكالية الثقافة، أو وضعية النخب المثقفة."[٢]

غير أن ما يربط بينها جميعا كونها تفضي إلى "الشخص الذي لديه ميل قوي إلى شؤون الفكر، إلى شؤون الروح، الشخص الذي تطغى لديه الحياة الروحية أو الفكرية على غيرها"[٣].

وفي تتبعنا للسياق التاريخي للمصطلح نجد أنه يشير إلى مرجعيته الغربية، فأول مرة استخدم فيها لفظ "مثقف" كان في فرنسا فيما عرف بـــ " بيان المثقفين " المتعلق بظرف تاريخي خاص، هو قضية "دريفوس" وهو ضابط فرنسي من أصل يهودي، اتهم بالتجسس لصالح ألمانيا عام ١٨٩٤، فحكم عليه بالسجن المؤبد في إحدى الجزر النائية، فانقسم الشعب الفرنسي بين مناصر ومعاد لدريفوس، فظهر أول بيان في تاريخ الفكر الغربي، توقعه جماعة من رجال الفكر والأدب سمت نفسها "جماعة المثقفين" ونشرت البيان المشار إليه عام ١٨٩٨، وكان من الموقعين أسماء كبرى مثل: إميل زولا، أناتول فرانس وليون بلوم. ونجح ضغط الرأي العام في إعادة المحاكمة وتبرئة الضابط عام ١٩٠٦[٤].

وقد سجلت هذه القضية باعتبارها صراعاً ثقافياً بامتياز، نتج عنها، فيما نتج ، ظهور مصطلح "المثقف".

فـــ "المثقف" كلمة مولّدة إذ هي ترجمة للكلمة الفرنسية (Intellectual)، وهي مشتق من (Intellect) الذي معناه العقل أو الفكر، وهو يشير إلى الشخص الذي لديه ميل قوي إلى شؤون الفكر إلى شؤون الروح. أما الكلمة العربية " مثقف " التي وضعت ترجمة للمصطلح الفرنسي فهي " لا تحيل إلى الفكر أو الروح، بل إلى لفظ " الثقافة " الذي هو ترجمة لكلمة (Culture) الفرنسية، التي تدل في معناها الحقيقي الأصلي على فلاحة الأرض... أما في معناها المجازي ... تدل على مجموع المعارف المكتسبة التي تمكن من تنمية ملكة الذوق والحكم، والمثقف بهذا المعنى سيكون هو من اكتسب بالتدريب والتعلم جملة المعارف التي تنمي فيه هذه الملكة"[٥] .

وبالنظر إلى اللفظة الفرنسية (Intellectual ) والتي يرجع استخدامها إلى بدايات القرن المنصرم، فإن ترجمتها إلى العربية بالمثقف فيه بعض التعسف كما يرى بعض الباحثين، إذ يرى هؤلاء أن الأقرب إلى المفهوم العربي هو " العقلاني "، إلا أنه يتميز بتلك العلاقة العضوية والاشتقاقية بين كلمة " ثقافة " وكلمة " مثقف " .

وقد ارتبطت كلمة المثقف منذ ظهورها آنذاك، بحمولات فكرية لها دلالتها المتعلقة بأولئك الذين "يحملون آراءً خاصة بهم حول الإنسان والمجتمع ويقفون موقف الاجتجاج والتنديد إزاء ما يتعرض له الأفراد والجماعات من ظلمٍ وعسفٍ من طرف السلطات أياً كانت سياسية أو دينية "[٦].

وما سبق لا يعني أن المثقف لم يكن له وجود سابق، فمصطلح المثقف بالرغم من كونه مصطلحاً حديثاً، إلا أنه لا يمكن الجزم بعدم وجوده الواقعي قديماً ، سواء في الحضارة العربية أو الأوربية ، على اعتبار أن المثقف بانهماكه في قضايا الشأن العام موجود في الواقع وإن لم يصغ مصطلح واضح يعبر عنه. وفي كتابه المثقفون في الحضارة العربية يحاول محمد عابد الجابري أن يعود إلى العصور الإسلامية الأولى متتبعاً مفهوم المثقف وكيف يمكن اعتبار فئات عديدة مؤثرة في الشأن العام مثقفة ويورد لذلك تفصيلات حسنة.

ويمكن القول إن مفهوم المثقف متسع على الدوام، فهو قابل لنقل تصورات وحمل دلالات مفهومية مكثفة، تتجلى فيما ينفتح من حوارات، أو مما يبتكر من عوالم فكرية تسهم في تحليل المشكلات، أو في صوغ أفكار جديدة تضيء السبيل إلى آفاق خصبة يمكن من خلالها إحياء نمط حياة جديدة.

والمثقف الذي يهم في النهاية – يقول إدوارد سعيد– هو "ذاك المتمتع بالصفة التمثيلية، إنسان يمثل بوضوح وجهة نظر ذات طبيعة ما، يعبر بجلاء لجمهوره عن تلك الأفكار التي يمثلها برغم كل أنواع العوائق"[٧] .

ويلجأ بعض الدارسين[٨] في محاولة للوصول لتعريف أدق للمثقف ، فيربطه بالهوية التي ينتمي إليها على اعتبار أن المثقف يتأثر ضرورة بثقافة المجتمع الذي يعيش فيه، بل إن ثقافة مجتمعه قد تنتقل معه وتؤثر على تصوراته وسلوكياته وتوجهاته إن انتقل للعيش في مجتمع جديد، من هذا المنطلق يمكن أن يكتسب المثقف تعريفه من خلال الهوية التي ينتمي إليها ، فالهوية هي مجموع " الخصائص التاريخية واللغوية والنفسية التي تؤدي إلى الفصل بشكل حاسم بين جماعة من الناس وأخرى، وتنتج هذه الخصائص عن عاملين رئيسين : الأول ، داخلي يتمثل في تقاليد ومواريث تراكمت عبر حقب تاريخية ممتدة. والثاني، خارجي يعكس تفاعل الأمة مع وضع عالمي فوار متغير، مفرزاً موجات ثقافية متعددة ونماذج حضارية مختلفة، ينتج عنها ردود فعل ذاتية تفرض التعامل بخصوصية مع تلك التقاليد، مانحة إياها هوية جديدة "[٩].

وكل ثقافة تمارس تأثيراتها على المثقف الذي يعيش في زمنها مهما كانت نوعية هذه الثقافة، ثم يأتي تأثره بالثقافات المحيطة الأخرى كالثقافة القومية أو الثقافة العالمية فيما عرف بالعولمة، وذلك بقدر قربه أو ابتعاده عنها.

من هنا، فتعريف المثقف من خلال سياق ثقافته جدير بالاهتمام، ففاعلية المثقف العربي في النظام الاجتماعي الحديث لا تتطابق بالضرورة مع تلك التي تميز المثقف الغربي في النظام نفسه ، بالرغم من وجود نمط خاص لفاعلية المثقفين في عملية تحقيق السياسة في النظم الحديثة.وما "يميز تعريف المثقف من خلال هويته الثقافية ، أنه يمكن المثقف من العمل والتفاعل باتساق مع ثقافته المحمولة والأهداف التي يسعى لتحقيقها"[١٠].

فالمثقف العربي غير الأوربي وكذا الأفريقي، فلكل ثقافته التي تسيطر على وعيه، وتحرك فكره، وقد تصبغ طموحاته وتطلعاته بصبغتها ، فالمثقف العربي تحركه هويته الممتدة تاريخيا بما تحمله من انتصارات وانكسارات ، ولا يمكن أن نتجاهل ما حدث للمثقف العربي بعد تضعضع العرب وانكسارهم في العصر الحديث بعد أمجاد غدت غابرة.

وفي المغرب العربي تبرز الهوية الأمازيغية ، وما تمارسه من تأثير على مثقفيها في الساحة العربية، ويبرز على سبيل المثال الروائي إبراهيم الكوني "الطارقي" الذي جعل

أعماله الروائية جميعاً، تصور عالم الطوارق وهم سكان الصحراء في دول المغرب العربي.

**٢. نماذج المثقف :**

يقسم المفكر الإيطالي غرامشي ( ١٨٩١– ١٩٣٧ ) المثقفين إلى قسمين: المثقف التقليدي، وهو الذي يواصل فعل الأشياء نفسها من جيل إلى جيل مثل المدرس والكاهن والموظف. والمثقف العضوي، وهو صاحب العقل والمفكر المرتبط بصورة مباشرة بالطبقات أو المشاريع ذات المصالح المحددة، والتي توظف المثقف لتنظيم مصالحها أو في إحكام السيطرة والمزيد من السلطة، وأدرج غرامشي ضمن هذه الفئة التقني والخبير والمتخصص.

وهو يرى أن المثقفين يمارسون دوراً حيوياً ومهماً في البناء الاجتماعي، باعتبار أن التماسك الاجتماعي من وظائف المثقفين.

وهذا التقسيم يتأسس على قياس فاعلية المثقف، إذ يؤمن غرامشي أن المثقفين العضويين " يشاركون في المجتمع بنشاط، أي أنهم يناضلون باستمرار لتغيير الآراء وتوسيع الأسواق، فالمثقفون العضويون هم دائمو التنقل، دائمو التشكل، على عكس المعلمين والكهنة الذين يبدون وكأنهم باقون في أماكنهم، يؤدون نوع العمل ذاته عاماً بعد عام"[١]. وحسب مفهوم غرامشي فكل من يعمل في أي حقل مرتبط بالمعرفة أو بنشرها هو مثقف.

ويطرح تصنيف غرامشي إشكالية الداخل والخارج أو الخاص والعام، منظوراً لتقسيم المثقف، خصوصاً أن قياس فاعلية المثقف لديه تتحدد من خلال تماسها وظيفياً مع الشأن العام، وهنا لا معنى لمثقف خاص لأنه يتخطى عتبات الأنا بمجرد القيام بفعل الكتابة والنشر أي تصدير الذات والاحتكاك بالعام، ولا يعني الإقرار بالمثقف العام أيضاً أن يجرد المرء من كل جوانبه الشخصية لصالح قضية، " أو حركة أو موقف ، فعلى الدوام ثمة نبرة شخصية وحساسية خاصة، وهاتان السمتان هما اللتان تعطيان معنى لمايقال أو يكتب"[٢]

وفي محاولة للتوفيق بين طرح غرامشي لتقسيمات المثقف بالنظر للرواية العربية المغاربية طرح محمد رجب الباردي ثلاثة نماذج من المثقفين هم : المثقف التقليدي الذي يربط مصالحه بمصالح الجهاز السياسي القائم وبمثله، والمثقف العضوي وهو نادر جداً لا يكاد يوجد ، ثم المثقف بين التقليدي والعضوي[٣].

رغم مرور عقود على تعريفات غرامشي تلك للمثقف ، إلاّ أنها ما تزال تسود جزءاً كبيراً من الأدبيات التي عنيت بدور المثقف في المجتمع. لكن غرامشي كان قد ركز على ذلك الدور في إطار الصراعات الداخلية بين الطبقات، أي داخل نطاق المجتمع المعني، أما اليوم فقد تطورت تصنيفات المثقف، وأخذت شكلاً أكثر تركيباً من الميكانيكية الغرامشية ، على مستوى المجتمع ، وأوسع أبعاداً على مستوى علاقة المجتمع برمته مع العالم الخارجي وضغوطاته. فقد أصبحت لدينا تقسيمات إضافية مثل المثقف الناقد ، والمثقف التبريري ، والمثقف الداعية[٤].

المثقف الناقد معوّله العقل النقدي البناء، الذي يعمله في النظر إلى الأشياء والقضايا، والذي يمارسه سواء إزاء السلطة أم إزاء المجتمع أو المجموعة التي ينتمي إليها. وهذا النقد هو وسيلته للمساهمة في تحسين الشرط الاجتماعي والثقافي والسياسي الذي تعيش فيه جماعته، وهو الأكثر شجاعة من بين كل أصناف المثقفين، وهو كذلك الأكثر خسارة في أغلب الظروف، فتعاديه السلطة ويتحامل عليه المجتمع لكن قوته

المعنوية المتراكمة، عبر عدم خضوعه، هي رأسماله الكبير الذي بتراكمه ذاك يخلق النموذج ويخلق التغيير. والمثقف التبريري منطقه ووسيلته التبرير للفضاء الذي ينتمي إليه، أو للشريحة التي يفترض أن يدافع عنها ويسوغ أخطاءها. قد يكون مثقف سلطة يدافع عنها دفاعاً عن مصالحه ، أو مثقف أيديولوجيا أو حزب أو ثقافة يدافع عنها دفاع المستميت مهما كان الانحراف أو الخلل بادياً. والمثقف الداعية أو العقائدي فهو الذي "يتعامل مع أفكاره تعامل المبشر أوالمروج"[٥] أو هو ذلك" المثقف الذي يستند وعيه للأشياء إلى نزعة إيمانية حادة تدفعه إلى بناء يقينيات وإلى الاستمساك والاعتصام بها، بوصفها إدراكات صحيحة للعالم."[٦]وعلى النقيض منه المثقف النقدي الذي تدفعه" نزعة الشك إلى التزام الحذر والتحوط في بناء أحكام نهائية عن الأشياء، أو في التعاطي مع الأفكار والحقائق الجاهزة"[٧].

وتأخذ تصنيفات المثقف "بعداً أعمق حين يتم التركيز على فاعليته كمنتج للمعرفة ومتبن لموقف وبان لرؤيا"[٨]، ومن هنا ظهرت تقسيمات بناء على العلاقة بالسلطة، فهناك مثقف تابع للسلطة وآخر ضد السلطة، أو يمكن التصنيف على أساس مثقف داخل السلطة وآخر خارج هذه السلطة ، ليس بالضرورة أن يكون خارجاً عليها، وممن عنوا بهذا التقسيم الدكتور صلاح فضل، إذ نظر إلى علاقة المثقف بالسلطة من حيث القبول أو الرفض فجعلها في ثلاثة أقسام: الأول مثقف السلطة: وهو الذي يضع فكره ومهارته ورأيه وخبرته في خدمة السلطة ولاءً لها وتماهياً معها، وتوافقاً مع مقتضيات سيادتها. والثاني: المثقف المتعاون مع السلطة: وهو النموذج الغالب... ويتفاوت مدى التعاون طبقاً لأهداف السلطة في توظيفها للمثقفين من ناحية، وقدرة هؤلاء – من ناحية أخرى– على التوافق النسبي مع هذه الأهداف لاكتساب مجال حيوي في للعمل العام. والثالث: نموذج المثقف المضاد للسلطة المناضل في وجهها، ولابد أن يكون منفياً أو مهاجراً.[١١]

وهناك من يقسم المثقفين بحسب فئاتهم إلى أربع فئات، الفئة الأولى المثقفون الملتزمون، والفئة الثانية من أهل القلم من الأدباء والكتاب والمفكرين العاملين اجتماعياً بالكلمة لا بالممارسة المباشرة، والفئة الثالثة من العاملين في حقل التثقيف والتعليم من الأساتذة والمعلمين، والفئة الرابعة من المهنيين العاملين في الحقول العلمية والصناعية والإدارية المختلفة.[٩]

وإذا كانت التقسيمات السابقة قد تعاطت مع رؤية المثقف للعالم من حوله، فإن ثنائية جديدة تنهض على خلفية الإيجاب والسلب فيما يخص علاقة المثقف بالمجتمع، ففي الإيجاب نجد المثقف الثوري وهو يشترك، ولو بدرجات متفاوتة، في الثورة الوطنية الشعبية[١٠]، الأمر الذي جعل إدوارد سعيد يوسع من نطاق فاعليته فيؤكد أنه لا يمكن قيام ثورة، أو ثورة مضادة، بدون المثقفين، بل هم آباء الحركات وأمهاتها[١١]، وفي الجانب السلبي نجد المثقف العاجز، وهو الذي فقد التواصلية مع المجتمع نتيجة بطالته الفكرية، لأنه مثقف بالسماع إذ لا يجهد بصره أو عقله– في الغالب – في قراءة جادة، حسبه بعض الصحف وبعض البرامج الإذاعية والتلفزية، ثم ممارسة (السماع) من الآخرين، والقرصنة على أفكارهم ورؤاهم[١٢]. ويقع ضمن إطار السلب، أيضاً، المثقف المغترب، الذي يؤثر العزلة والانسحاب بفعل إكراهات المحيط، فهو يرى أن تحقيق تطلعاته وطموحاته العامة قد اصطدمت بجدار سميك لا سبيل إلى تحطيمه، فينغلق على نفسه ويصبح ، من ثم، "مثقف مشلول الإرادة"[١٣]؛ فهو" كحال من هو منفي فعلي" كما يقرر إدوارد سعيد[١٤].

هذا يقودنا للحديث عن تقسيم آخر للمثقف ينظر إلى التموضع المكاني له، إذ تطالعنا ثنائية المقيم والمهاجر، وهذا الأخير لم يستطع مقاومة ضغط السلطة التي لم تمكنه

من ممارسة فعله الثقافي والسياسي ، فيقرر الذهاب للمنفى طائعاً، أو مكرهاً في أغلب الأحوال، ويرى إدوارد سعيد أن المنفى "هو النموذج الذي ينبغي للمثقف أن يضعه أمام عينيه عندما تغويه بل وتغدق عليه وتغمره، مكافآت التكيف والأمعية والركون"[١٥]. والثنائية الثانية المتكئة على التموضع المكاني، تبدو من خلال جدلية المركز والأطراف، فيظهر أمامنا مثقف المدينة ومثقف الريف، ويصبح الفرق بينه وبين الريفي أن الأول "مرتبط بالصناعة وتطورها، وأما الثاني فهو تقليدي مرتبط بالمراكز الصغرى التي لم يدخلها النظام الرأسمالي"[١٦]. وقد تضيق الفروقات بينهما إلى حد قياس المدخلات المعرفية ليصبح المثقف في الريف العربي، هو كاتب الرسائل، وقد تتسع بما يمس الكينونة ليصبح مثقف الريف "هو تقليدي أساساً، وإذا ارتبط عضوياً فإنما يكون ذلك بالطبقة الحاكمة وبكبار مالكي الأراضي لا بالفلاحين"[١٧].

وتأتي التقسيمات الأخرى للمثقف بالاستناد على الخلفية الاقتصادية، بما يظهر إمكاناتها الطبقية حيث المثقف الارستقراطي، والمثقف من الطبقة الفقيرة والمتوسطة، أو بالنظر إلى محاميله الفكرية حيث المثقف الليبرالي، والمثقف الإسلامي ، والمثقف الشيوعي[١٨]. وهناك من يصنف المثقفين استناداً إلى تأثرهم بالمال، وخاصة بعد الطفرة النفطية في الحياة العربية المعاصرة، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فنجد المثقف المراوغ، وهو الذي يجيد إمساك العصا من الوسط، ويعرف جيداً أن نجاحه في الوصول لما يريد يتطلب إتباع مجموعة من القواعد الأصولية تحدد خط سيره وصعوده العام أو الخاص.

والمثقف الترزي، وهو الذي يجيد السير في الركاب، ويمنح ولاءه وموهبته لمن يقبض على زمام الأمور، أياً كانت توجهات السلطة السياسية، بدون الشعور بأي أزمة أو مشكلة مع نفسه، والمثقف المقاول، وهو أشبه بالمنظم والمروج الرأسمالي في مجال ترويج الأفكار والمفاهيم. والمثقف الاجتراري، وهو الراكن للكسل الفكري ويحلو له إعادة اجترار النصوص والمقولات الجاهزة، تضعف لديه روح الاجتهاد والابتكار. والمثقف الانتحاري، الذي آثر اتخاذ موقف احتجاجي حاد بالانعزال الكامل عن الحياة اليومية، وعن صخب المحافل والمنتديات الفكرية، والانصراف للجهد البحثي الأصيل الفردي في إطار مشروع فكري جاد.[١٩]

**٣. نقد المثقف :**

ظهرت في السنوات الأخيرة ، خاصة مع تنامي اتجاه مابعد الحداثة، دعوات كثيرة تطالب بإعادة النظر في دور المثقف، خطابه وفاعليته ، أفكاره ومشاريعه، وانقسمت الآراء بين من يدعو لجعل دوره معرفياً، بديلاً لدور الناقد الاجتماعي صاحب رؤى التغيير، وآخر يصدح بدعوات تمس وجود المثقف ذاته، لتقول بنهاية المثقف أو موته. وحول هذه الدعوات جرى جدل طويل وسال حبر كثير، لم ينته بعد. وانبثقت من كل ذلك أسئلة عديدة، منها: هل مازال المثقف يستطيع إثبات ذاته مع التغيرات التي طرأت على العالم بفعل ثورة الإعلام والاتصالات التي جعلت العالم قرية صغيرة؟ وهل مازالت تقع على المثقف مسؤولية تغيير المجتمعات العربية للأفضل بعد ما حدث من هزات سياسية كبيرة بفعل الثورات العربية الأخيرة؟ وهل مازال المثقف يعد نفسه حاملاً لرؤى التغيير وطموحات الإصلاح.

ويجدر أن نشير بداية إلى أن النقد الموجه للمثقف يتداخل مع الأدوار المنوطة به، فكلما كان أقرب من تحديد أهدافه ورؤاه والسير عليها، كلما رافقه النقد الموجه إليه، فإن كانت رؤاه تتفق مع السلطة– أي سلطة– فإنه سيتعرض للنقد من معارضيه وإن كان

معارضاً، فإن السلطة تلاحقه بالنقد والتضييق أو النفي والسجن. المثقفون أنفسهم أكثر من يختلف عند الإجابة عن مثل تلك الأسئلة، فهناك من ينطلق من وضع المثقف في دائرة الإيجاب بدءاً من غرامشي الذي يؤمن بفعالية المثقف ودوره المجتمعي، مروراً بمحمد عابد الجابري ورؤيته حول حمل المثقف لرسالة التنوير، عبر العصور فهو المشرع والمعترض والمبشر[١]، وانتهاء بإدوارد سعيد الذي يرى دوراً مهماً للمثقف في تحريك الراكد وفي صياغة الآمال والطموحات والرغبات والدعوة لتحقيقها[٢].

وفي المقابل هناك من يرى أن دور المثقف كان سلبياً، وأنه فشل في وعوده للناس، بل شرع للاستبداد وتاجر باسم الثقافة والقيم والحريات والكرامة وعند هذا الحد ينبغي أن يتوقف[٣]. ولدى هؤلاء ينطلق النقد الموجه للمثقف من تعامله مع أفكاره ، "فمشكلة المثقف، في أفكاره بالدرجة الأولى"[٤]، فهي منزهة عن "الشك والنقد ، متشعبة بوهم الامتلاك المعرفي للحقيقة"[٥]، وهي عندما تتعارض مع الواقع وتصطدم بالفشل، يرى العلة في الواقع لا في الأفكار أو في أنماط الفهم أو في طريقة التعامل مع الآخرين، ولذا يقرر علي حرب، أن مايشغل المثقفين "هو حراسة أفكارهم في مواجهة الواقع والتطورات"، فهم لذلك " ضحايا أفكارهم أو أنماطهم في للتفكير"[٦]

بينما يرى علي أومليل أن مشكلة المثقف "في أنه يرى أن للثقافة القيمة العليا وأن الناس هم الذين عليهم أن يسعوا من أجلها، لا أن يسعى هو إليهم بالخدمة والتوسل والتبعية"[٧] ، من هنا تأتي إشكالية أن المثقف يرى دوره من خلال ذاته فقط ولا يراه من خلال ما يراه المجتمع والآخرون، "بمعنى أن نظرته لذاته هي التي تحكم كل مواقفه وتعتبر بالنسبة إليه كالمرجعية التي تحدد دوره، بينما كان من المفترض أن يكون لغيره حق المشاركة في تحديد دوره كي لا يخرج عن الموضوعية عند تحديد دوره بنظرته الذاتية القاصرة"[٨]، وتسبب هذا في إيقاع المثقف في أوهام عَزَلَتْهُ عن القيام برسالته التي يتغياها، لأنه لم يدرك وضعيته الحقيقية على الواقع، وحصيلة هذا الخلط "هو وعي شقي لديه نتيجة للتناقض الحاصل بين ما يدعيه، ومكانته الحقيقية التي هي دون طموحاته والصورة التي يرى فيها نفسه"[٩]. وهذه الاختلالات في السلوك الثقافي لبعض المثقفين إزاء المجتمع العربي، بحسب د.عبدالإله بلقزيز، هي المسؤولة عن تواضع دور المثقف في المجتمع العربي المعاصر، فهو يرى أن المثقف بحاجة للتحرر الذاتي عند مواجهتها، ويحصي أربعة منها وهي: النخبوية الانعزالية، الشعبوية، الطبقوية الاختزالية، الحزبية السياسوية.[١٠]

لقد أسهم الضعف المعرفي للمثقف العربي في إضعاف دوره، فهو "انحبس كثيراً في سجال أيديولوجي مع الآخرين مما أدى لانحباسه في إطار فكري ضيق، دون الاستفادة من الانفتاح على الفكر الموجود داخل مجتمعه أولاً، والموجود في الثقافات الأخرى ثانياً"[١١]. فأهم اشتغالات المثقف "هو ما يكون على الأفكار والوعي اللذين ينموان ويتطوران بالانفتاح على الأفكار والآراء الكثيرة والمتنوعة التي تعج في هذا العالم"[١٢]. كما طال النقد أولويات خطاب المثقف وفاعليته، إذ انتقد بعض الباحثين المثقف الذي لا تشكل قضية الحرية أولوية لديه، ويرى هؤلاء أن على المثقف العربي البحث عن الديمقراطية أولاً، فبدونها لن يتمكن من أداء دوره، فالقضية هي :" حرية التعبير، أي قضية الديمقراطية. فقبل الدفاع عن هذه القضية أو تلك، أي عن محتوى رأيه، عليه أن يضمن الحق في التعبير عن هذا الرأي، بغض النظر عن محتواه، فقضيته الأولى إذاً هي القضية الديمقراطية التي أساسها الحريات العامة، ومنها حرية التعبير."[١٣] فبدون حرية التعبير تنعدم قدرة المثقف على تكوين سلطة تمكنه من التأثير على الواقع، وتفقده الكثير

من الفعالية، فالمثقف الذي لا يمتلك سلطة ثقافية، تتخلخل مكانته وتضعف في مجتمع لا يمكن فيه مواجهة السلطات الأخرى، كالسلطة السياسية والدينية. هذه السلطة التي يبتغيها المثقف يسميها علي أومليل السلطة الفكرية، ويرى أن عجز المثقف العربي حامل الحداثة عن اكتساب سلطة فكرية في مجتمعاتنا، هو بسبب وجود "سلطة راسخة وموروثة هي سلطة الفقهاء، وكثيرا ما يجد المثقفون أنفسهم اليوم بين مطرقة هؤلاء وسندان السلطة."[١٤]

وفي سبيل إيجاد مغزى للنقد المتصاعد للمثقف ، خطاباً وفاعلية، يؤكد علي حرب وهو من أهم منتقدي المثقف العربي، إن ما حدث من تحولات في العالم العربي، يدعونا على أقل تقدير، إلى إعادة النظر في الأسس "وإلى تعرية البداهات والمسبقات، أي التصورات والصور والهوامات التي تحكمت بمنطق التفكير ومعايير العمل، لكي تنتج العجز والإخفاق والهامشية، وإذا لم نفعل ذلك نكون كمن يعمل على تأبيد الهزيمة وإعادة إنتاج الواقع المراد تغييره على النحو الأسوأ"[١٥]. فالمثقف لم يعد باستطاعته ممارسة دوره النخبوي بوصفه "الحارس والقيم أو الوصي على الحقيقة والحرية وللهوية والذاكرة، بل عليه أن يخضع أفكاره وممارساته للنقد والتفكيك، من أجل اجتراح إمكانيات جديدة للتفكير والعمل تتيح له مغادرة عقمه الفكري وفشله النضالي"[١٦]. وكما كل شيء يتعلق بالمثقف يبقى الجدل مستمراً حوله، وتبقى كثير من الأسئلة معلقة برغم ما أسالته من حبر، ويظل المثقف نفسه هو من يجترح الأسئلة، وهو كذلك من يقترح الإجابات، وهو، من ثم، المطالب بمواجهة الأسئلة والتحديات التي تتزايد كل يوم، وبالتالي تحتاج إلى صيغ جديدة للتعامل والمواجهة.

**٤. هل انتهى دور المثقف؟**

ينطلق هذا السؤال من مقولة (موت المثقف) أو نهاية المثقف، وهي مقولة تدخل في نطاق الأفكار التي ظهرت في الغرب متعلقة بفكرة النهايات، من مثل ( موت الإنسان) لفوكو، أو ( نهاية التاريخ) لفوكوياما، أو (نهاية الجغرافيا) لبول فيريليو. وهذه المقولات هي عبارة عن قراءات للعالم، أو للأحداث والأفكار التي ساهمت في صوغ المشهد العالمي، فهي تحرك العقول وتشغل أهل الفكر سواء في الغرب أو في العالم العربي، وقد ظهرت فكرة موت المثقف بداية في أوروبا، ومن ثم انتشرت عالمياً، إذ تلقفها بعض المثقفين العرب ودفع بها للنقاش والجدل، عبر سجالات عديدة لم تزل مستمرة في الساحة الثقافية العربية، مابين مؤيد ومعارض.

يقول علي حرب وهو من أشد المتحمسين لهذه المقولة يرد على معارضيه: "هل يعقل أن ندافع عن مقولات استنفدت نفسها، ولا تنتج سوى ألغامها، وأن نخشى مقولة تقدم إمكاناً جديداً لفهم ما حدث على ساحات الثقافة؟ هل نتمسك بما يؤدي إلى شد الوثاق والإمساك بالخناق ونرفض ما يؤول إلى فهم المآزق أو كشف العوائق؟.[١] والمتتبع لأصل ظهور هذه المقولة، يجدها بعض أصداء الثورة الطلابية العنيفة التي اندلعت في شوارع باريس في مايو ١٩٦٨،[٢] بحيث لم تعد فرنسا كما كانت قبلها ثقافياً واجتماعياً. وتكمن أهميتها في صعقة المفاجأة، التي هزت أوساط المثقفين في فرنسا، فسارتر وقد فاجأه الحدث، " أحس بتشكك مس وجوده كمثقف"[٣] ثم أعلن بأنه لم يعد من المعقول أن يفكر المثقف نيابة عن الآخرين ، فهاهم بدون مقولات المثقف ودعمه يسيرون بدافع من تحقيق هدف عظيم في حياتهم. وكذلك فوكو أعلن نهاية المثقف الذي يملك الحقيقة ويمثل الجميع، معتبراً أن الزمن الذي يقول فيه المثقف الحقيقة للناس قد ولى، لأنه ببساطة لم يعرفها أكثر

منهم، بل لأن الحقيقة – بحسب فوكو– لا تقال ولا تعرف بمعزل عن استراتيجيات السلطة وآلياتها في الاستبعاد والتلاعب والتعتيم.[٤]

وهذا الأمر نفسه حدث في الانتفاضات الشعبية العربية الأخيرة، إذ تفاجأ بها المثقفون كما الحكام تمامًا، فارتكنوا زمناً يحاولون فهم ما يجري في الواقع الجديد وتحليله، ففي الوقت الذي تخلى فيه المثقف العربي، فرداً ونخبة، عن دوره النضالي التحرري طائعاً أو مكرهاً، فاجأته الجموع الثائرة التي تدعو للنضال والتحرر، فاهتزت صورته في نظر نفسه أولاً، فهو لم يعد يثق بقدرته على تنوير العقول، والتأثير في الرأي العام، أو بكونه صاحب عقيدة صلبة قادرة على قيادة المجتمع تنويراً وتغييراً. ولعل أهم ما ينبغي تغييره هو فكرة التغيير نفسها، إذ العالم يتغير اليوم بطريقة مختلفة وبقوى وآليات جديدة، وكل ذلك يدعو المثقف إلى إعادة ابتكار دوره، أو إلى رسم صورة جديدة لمكانته، أو إلى بلورة صيغة مغايرة لعلاقته بالناس والمجتمع، بالسلطة والإدارة، بالأحداث والوقائع. هذا إذا أراد أن يعمل على استعادة فاعليته للخروج من عجزه ومغادرة هامشيته.[٥]

وقد عاصرتُ، عدة سنوات، عن قربٍ أعمال الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، الذي يجمع المؤسسات الأدبية في العالم العربي برباط واحد، فهو، كما يفترض أن يكون، جماع المثقفين العرب وممثل سلطتهم القوية، إذ يعقد اجتماعاً دورياً مرتين في العام، تستضيفه إحدى الدول العربية بالتناوب، لكنه فشل في متابعة الجماهير والتعبير عن تطلعاتها وأمانيها، رغم العدد الهائل من المثقفين العرب المنضوين تحت لوائه أو الذين يحضرون نشاطاته التي تقام على هامش اجتماعاته، فقد كان لسان حال السلطة السياسية بامتياز، وكانت اجتماعاته في كل دولة مدعاة لتلقي أوامر السلطة الحاكمة بما ينبغي أن يعلن في البيان الختامي، فلم يستطع أن يحقق شيئاً مما هو معلن في نظامه الأساسي، ولم ينجح سوى في أن يكون الناطق بلسان السلطة السياسية والمدافع عن طروحاتها المُكرِّر لمقولاتها والمُبشِّر برخائها.

ولهذا فإن مقولة نهاية المثقف تبدو مرتبطة أكثر بالدور النخبوي في العالم العربي، ذلك " أن النخبوية، قد آلت العزلة والهامشية، وأنتجت التفاوت والاستبداد، بقدر ما جسدت الاصطفاء والنرجسية لدى النخب الثقافية"[٦]. فالأجدى–بحسب علي حرب– أن يعمل المثقفون على "التحرر من أوهامهم النخبوية، لإعادة صوغ المفاهيم المتعلقة بالتغيير الاجتماعي والعمل السياسي أو الإنمائي"[٧].

غير أن الواقع اليوم يفرض على المثقف العربي أن ينهض متجاوزاً كبوته الذاتية، عليه أن يعيد التفكير فيما يحدث، في علاقته كما عليه أن يتجاوز ثنائية المثقف والسلطة، التي تتحكم في تفكير كثير من المثقفين العرب، فالمثقف الحقيقي لا يموت ولا ينتهي، بل يتجدد وفق علاقة تقوى من خلال نقد الذات، والانطلاق بعدها لفهم الواقع والقيام بدوره في النقد والتفسير والمعالجة والمواجهة.

**Abstract**

**Concept of the intellectual**

**By Fawzi omr Salem**

This research deals with the concept of the intellectual in the process of approaching the understanding of the surrounding problems of methodology and semantics. Through ٤ addresses start with the question of who is the intellectual?

Such a question raises a long debate that may not end easily because of a number of cognitive and ideological differences. By tracing the historical context of the term to an agreed definition. The second headings relate to the models of the intellectual starting with Gramsci's talk and the additions of contemporary critics, especially through the contemporary Arabic novel. Where the models of the intellectual take a deeper dimension when the focus is on its effectiveness as a product of knowledge and adopt a position and vision. Hence the apparition of divisions based on the relationship to power, there is a cultured authority and another against the authority.

And the third title of this study presents a growing issue with the post-modernist movement demanding reconsideration of the role of the intellectual and his speech and effectiveness and ideas and projects.

And divided opinions between those who call to make his role as an alternative to the role of the social critic with visions of change, and another authorizes calls affecting the presence of the same intellectual, saying the end of the intellectual or his death and this case is the fourth title of this study.

**الهوامش**

[١] إدوارد سعيد، صور المثقف، ص ٢٧

[٢] أوهام النخبة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط٥ ، ٢٠١٢ ،ص٣٧.

[٣] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط ٢، ٢٠٠٠ . ص ١٨.

[٤] ينظر: محمد الشيخ، المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط١ ، ١٩٩١، ص ١٧.

[٥] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، ص٢١.

[٦] المرجع السابق: ص٢٢.

[٧] صور المثقف، ص ٢٩.

[٨] زكي العليو، المثقف.. مداخل التعريف والأدوار، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ط١، ٢٠٠٩، ص٤٥.

[٩] يوسف مكي، في الوحدة والتداعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١، ٢٠٠٣ ، ص ١٧.

[١٠] زكي العليو، المثقف ، ص٥٤.

[١] ينظر: إدوارد سعيد، صور المثقف ٢٢،٢٣.

[٢] غالي شكري، المثقفون والسلطة في مصر، دار أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩١ ، ص١١.

[٣] ينظر: شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة، الدار للتونسية للنشر، ١٩٩٣ ، ص١١٨.

[٤] ينظر: زكي العليو، المثقف، ص ٢٠.

[٥] علي حرب، أوهام النخبة ، ص٨٨

[٦]عبدالإله بلقزيز، نهاية الداعية، الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠ ، ص ١٥٤.
[٧]المرجع السابق، ص ١٥٥.
[٨]محمودا ملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث الرواية الليبية أنموذجاً، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن ٢٠١٠، ص ٣٤.
[١١] المثقف والسلطة السياسية والدينية، مجلة الآداب ١٩٩٩، ٢/١، ص ٣٣.
[٩]ينظر: هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط٤، ١٩٩١، ص١٠٠.
[١٠]سعد الدين إبراهيم، وآخرون، الانتلجنسيا العربية المثقفون والسلطة، منتدى الفكر العربي، عمان ط١، ١٩٨٨، ص١٣٣.
[١١]صور المثقف، ص ٢٧.
[١٢]سعد الدين إبراهيم وآخرون، الانتلجنسيا العربية المثقفون والسلطة، ص ٥٧٤.
[١٣]المرجع السابق: ص ١٦٦.
[١٤]صور المثقف ص ٧١.
[١٥]نفسه: ص ٧٢.
[١٦]محمد رجب البارودي، شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة، ص ٥٨.
[١٧]طاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، ص ٤١.
[١٨]ينظر: محمود الشيلابي، تمثيلات المثقف ، ص٣٧.
[١٩]زكي العليو، المثقف مداخل التعريف والأدوار، ص ٨٤.
[١]ينظر: المثقفون في الحضارة العربية، مرجع سابق ، ص ٢١ ومابعدها.
[٢]ينظر: صور المثقف ص ٢١ وما بعدها.
[٣]ينظر : زكي العليو، المثقف.. ص ١٤٣.
[٤]علي حرب ، نقد المثقف، ص ٤٣.
[٥]نفسه والصفحة نفسها.
[٦]نفسه، ص ٤٤.
[٧]السلطة الثقافية والسلطة السياسية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١ ، ١٩٩٦، ص ٢٢٥.
[٨]زكي العليو، المثقف.. ، ص١٥٣.
[٩]نفسه، ص ١٥٤.
[١٠]ينظر: في البدء كانت الثقافة، أفريقيا الشرق، بيروت ــ الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨، ص ٩٤ ومابعدها.
[١١]زكي العليو، المثقف.. ، ص ١٥٩.
[١٢]المرجع السابق ص ١٥٩.
[١٣] د.علي أومليل، المثقف العربي: همومه وعطاؤه، عدد من الكتاب، دراسة د علي أومليل: سلطة المثقفين وسلطة الدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥، ص ١٤٦.
[١٤]نفسه، ص ١٤٨.
[١٥]أوهام النخبة ، ص ٢٠٤.
[١٦]نفسه، ص ٢٠٥.
[١]أوهام النخبة ، ص ٢٠٩.
[٢]محمد الشيخ، المثقف والسلطة، ص ٧٥.
[٣]المرجع السابق، ص ١٠٩.
[٤]ينظر: علي حرب، أوهام النخبة، ص ٤٠.
[٥]المرجع السابق، ص ٢٠٠.
[٦]نفسه، ص ١٤.
[٧] نفسه، ص١٥.

## المصادر والمراجع:


١. إدوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة: غسان غصن، مراجعة: منى أنيس، دار النهار للنشر بيروت ١٩٩٦.
٢. زكي العليو، المثقف.. مداخل التعريف والأدوار، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ط١، ٢٠٠٩.
٣. سعد الدين إبراهيم، وآخرون، الانتلجنسيا العربية المثقفون والسلطة، منتدى الفكر العربي، عمان ط١، ١٩٨٨.
٤. صلاح فضل، المثقف والسلطة السياسية والدينية، مجلة الآداب ١٩٩٩، ٢/١.
٥. طاهر لبيب، سوسيولوجيا الثقافة، دار ابن رشد، عمان، ط٣، ١٩٨٦.
٦. عبد الإله بلقزيز، في البدء كانت الثقافة، أفريقيا الشرق، بيروت ــ الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨.
٧. عبد الإله بلقزيز، نهاية الداعية، الممكن والممتنع في أدوار المثقفين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠.
٨. علي أومليل وآخرون، المثقف العربي: همومه وعطاؤه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
٩. علي أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١ ، ١٩٩٦.
١٠. علي حرب ، أوهام النخبة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، ط٥ ، ٢٠١٢.
١١. غالي شكري، المثقفون والسلطة في مصر، دار أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩١.
١٢. محمد الشيخ، المثقف والسلطة، دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط١ ، ١٩٩١.
١٣. محمد رجب البارودي، شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة، الدار للتونسية للنشر، ١٩٩٣.
١٤. محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط ٢، ٢٠٠٠.
١٥. محمود املودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث الرواية الليبية أنموذجاً، عالم الكتب الحديث، ط١، الأردن ٢٠١٠.
١٦. هشام شرابي، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ط٤، ١٩٩١.
١٧. يوسف مكي، في الوحدة والتداعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط١، ٢٠٠٣.